وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم علوم القران الكريم والتربية الإسلامية
الدراسات العليا
مرحلة الدكتوراه

اعجاز القران الكريم

استعمال الألفاظ المختلفة في المواضع المتشابهة

ا.د. احمد مناف حسن القيسي

المحاضرة العاشرة

استعمال الألفاظ المختلفة في المواضع المتشابهة

ومما يتصل بهذه القضية، استخدام القرآن الكريم . المعنى، ولكنها جاءت في مواضع متشابهة، واختص كل موضع بما يلائمه الفاظاً مختلفة في هذه : يناسبه ومن

١- كلمتا الإلقاء والقذف : فقد وردت كل من الكلمتين في سياق الجهاد الحارية الأعداء، مسندتين إلى الله تبارك وتعالى المنعم على عباده بهذا الرعب

اكراما للمؤمنين، وياساً على أعدائهم، ونسأله سبحانه ونحن في هذا الظرف الذي تألبت علينا فيه قوي المكر والبغي بقيادة أمريكا الباغية وحلفائها وعملائها، نسأل الله أن يقذف في قلوبهم الرعب وأن يثبطهم ويثبتنا، فهو سبحانه نعم المولى ونعم النصير قال تعالى في سورة الأنفال: سألقى في قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرعب) [الأنفال: ١٢]، وقال في سورة الحشر وقدن في قُلُوهِمُ الرُّعْب) [الحشر : ٢].

ومن كان له أدنى اطلاع ومعرفة في قضايا اللغة يدرك أن كلمة (القذف) تعطي من الدلالة، وتلقي من الظلال ما لا يوجد في كلمة (القاء). فكلمة (القذف) إنما تستعمل لما فيه الشدة والقوة والضخامة، ولهذا يقال هم بين خاذف وقاذفه فالخذف وهي الحصاة الصغيرة، الخذف هو رمي أما القذف فلا يكون إلا بما كبر من الحجارة واشتد ضاربه فيه .

وحينما نقف أمام النصين الكريمين نتسائل متدبرين لم جاءت كل كلمة في هذا المكان دون غيره **!؟** والسياق كفيل بالإجابة على هذا التساؤل، لذلك كان السياق أمراً لا بد منه لفهم الكتاب العزيز وتفسيره، وإذا كانت اللغة والمأثور لا غناء عنهما لمفسر القرآن فإن السياق كذلك.

وإليك بيان ما نحن بصدده

الإلقاء جاءت في سورة الأنفال التي تحدثت عن غزوة بدر، والتي كانت بين المسلمين وبين قريش، وكان المشركون من أهل مكة يقفون ويتجمعون في ذلك الموضع، لا يجدون ما يتحصنون به إلا تروسهم وأسلحتهم، لكن كلمة (القذف) جاءت في سورة الحشر سورة بني

النضير، وهم الذين كما حدثنا القرآن عنهم كانت لهم حصونهم المنيعة الحصينة، والقرآن الكريم يحدثنا عن ذلك، وهو يمتن على المؤمنين (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَبِ مِن ببرِهِم لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّا نِعَتُهُمْ حُصُوتُهُم مِّنَ اللَّهِ [الحشر:٢]. يصلح أن تستعمل كلمة الإلقاء. كانت كلمة الإلقاء إذن في مكانها المناسب، وجاءت كلمة القذف حيث لا وهكذا تتجلى لنا الكلمة القرآنية بهاء ورواء

٢- **حادٌ وشاق** : هاتان كلمتان فى كتاب الله استعملت كل واحدة منهما في موضع معين، فقد استعملت الأولى في سياق الحديث عن المنافقين واستعملت الثانية فى سياق الكافرين كما يشهد لذلك ما جاء في سورة براءة في سياق المنافقين و الم يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) [التوبة : ٦٣]، وفي سورة المجادلة هو إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ كبتوا كما كُبت الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) المجادلة : ٥] و إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الْأَذَلِينَ) [المجادلة : ٢٠) ووردت المشاقة حديثاً عن الكافرين في قوله تعالى : (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [الأنفال : ١٣] في سورة الأنفال حديثاً عن المشركين، وذلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَ) [الحشر : ٤] في سورة الحشر حديثاً عن اليهود.

والسؤال: لم اختصت كل كلمة بموضعها؟ وللإجابة على ذلك نقول: إن المشاقة أن يكون كل من الفريقين في شق غير الذي فيه الآخر، فقيها معنى البعد، أما المحادّة فليس فيها هذا المعنى، إذ المتحادان يفصل أحدهما عن الآخر حدٌ - أي علامة - توضع بين الفريقين كحد الأرض، وهو ما فيها من علامات تميز بين الشركاء، وهكذا المنافقون يدعون الإسلام بالستهم فنجري عليهم أحكامه الظاهرة وليس الكافرون كذلك؛ لذا استعملت كلمة المشاقة في جانب الكافرين وكلمة المحادة في جانب المنافقين؛ لأن المنافقين يدعون الإسلام بالستهم.

٣- **الفعل – والخلق** : هاتان كلمتان متجاورتان في سورة آل عمران (الفعل) والخلق : احدهما في قصة زكريا عليه السلام (قال لارب انى يكون لي غلام وَقَدْ بلغني الكبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ) [آل عمران: ٤٠]

والأخرى في قصة مريم : (قَالَتْ رَبِّ انى يَكُونُ لِي ولد وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِك اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يشاء) [آل عمران ٤٧] .

فلقد عبر بالفعل (يفعل ما يشاء) فى الآية الأولى، لأن لفظ الفعل غالباً ما يجري على قانون الأسباب المعروفة. وعبر بـ (الخلق) في الثانية يخلق ما يشاء)، فالخلق يجري في الإيجاد والإبداع. ولما كان ايجاد يحيى من زوجين كسائر الناس عبر عنه بالفعل. لكن إيجاد عيسى عليه الصلاة والسلام جرى على غير قانون الأسباب والمسببات فعبر عنه بالخلق.

٤- الإغراء والإلقاء: ومما هو جدير بالتدبر، حري بأن تخشع له القلوب، هاتان الكلمتان من كتاب الله، وهما كلمتا الإلقاء والإغراء، ولنستمع

في سياق الحديث عن أهل الكتاب (وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصرَى أَخَذْنَا مِيثَاْقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِرُوا بِهِ، فَأَغْرينَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوةُ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ يُنبئُهُمُ اللهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) [المائدة : ١٤] وفي آية أخرى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَتْ أَيْدِيهِمْ ولعنوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَ كَثِيرًا مِّنهُم مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طغيانا وَكَفَرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُم الْعَدارَةُ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيِّمَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَاهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة : ٦٤]

يقول الدكتور فضل عباس في كتابه اعجاز القران الكريم : وقفت طويلاً . عند هاتين الآيتين، أتساءل عن سر استعمال أغرينا في اية يختص بالعرب كما ينته لك من قبل إنما كل من فقه العربية من موضعها، لا بد له من حكمة والحقيقة أن الإعجاز البياني للقرآن الكريم لا و«ألفينا» في اخرى وكنت على يقين من أن وجود كل من الكلمتين في وحدهم غير العرب، أو ترجمت له معاني الكتاب الكريم، فإنه سيقف على هذا الإعجاز، كما يقف عنده العربي ذو الطبيعة المسترسلة، والسليقة المتأصلة.

جاءت كلمة الإغراء حديثا عن النصارى، أما كلمة الإلقاء فجاءت في سياق الحديث عن اليهود، وإن كان كثير من المفسرين ذهب إلى أن قوله تعالى (وألقينا بينهم ! العداوة) أي بين

اليهود والنصارى، وإذا أردنا تفسيراً قريباً للإغراء والإلقاء، فإن الإغراء ببساطة هو الإلصاق بحيث إذا الصفت شيئين معا يصعب فصلهما، فهو ماخوذ من الغرا (بفتح الغين أو الغراء (بكسرها) وهي المادة المعروفة عند كثير من الحرفيين، أما الإلقاء فهو مجرد الطرح.

أن العداء بين وبعد هذه المعرفة اللغوية، إذا أردت أن تتذوق البيان في الأبنين الكريمتين فلا بد لك من التاريخ والواقع، فلقد حدثنا التاريخ الأمم النصرانية مستحكم ملصق بهم، والتاريخ يحدثك عن تلك الحروب الطاحنة بين الشعوب الأوروبية والطوائف النصرانية، ولقد كان آخرها شمولاً الحرب العالمية الثانية، وإنما قلنا آخرها شمولاً، لأن هناك عداوات إقليمية بين الكنائس النصرانية كما يحدث في ايرلندا وغيرها لا زالت على أشدها.

أما الإلقاء: فهو مجرد الطرح كما علمت، فإذا كان الضمير في قوله تعالى (بينهم) راجعاً لليهود، فنحن نعلم أن ما بين اليهود من عداوة لم تصل إلى ما هي عليه عند النصارى وإذا كان راجعاً لليهود والنصارى، كما ذهب بعض المفسرين فالأمر فيه ظاهر كذلك، فأمر العداوة لا يصل إلى ما هو عليه عند النصارى بعضهم مع بعض وإن خير دليل على ذلك ما حدثنا عنه التاريخ مما كان بين النصارى واليهود وبخاصة في أوروبا، ولكنه تحول اليوم إلى مودة ومعونة ومساعدة لما كان المسلمون طرقاً ثالثاً.

هذه شذرة من شذرات الإعجاز البياني، كما يصوره الكتاب الخالد وصدق الله وَإِنَّهُ لَكِتَبٌ عَزِيزٌ . لا بايهِ البَطِلُ مِنْ بَين يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ من حكيم

٥- **الدثار والتزمل** : قال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا المُرمَلُ قم اليلَ إِلَّا قَلِيلًا نصْفَهُ أَوِ أَنقُصْ مِنْهُ قِيلًا أَوْ زِدْ عليه ورتل القران ترتيلا) [المزمل: ١-٤] وقال تعالى: ﴿ يأيها المدثر قم فاندر وربك فكبر وثيابك فطهر) [المدثر : ١-٤]، وكثيرون الذي يفسرون الدثار والتزمل بمعنى واحد، إلا أن اختيار الكلمة القرآنية في موضعها، يحتم علينا أن نبحث عن سر هذا الاختيار فالدثار هو اللباس الذي يلي البشرة، أما التزمل فهو يعطي معنى زائداً على ما سبق فالتزمل فيه معنى الثقل والكثرة ومنه الزوامل التي تحمل الأحمال الثقيلة ولما كان الدثار أمراً لا بد منه لكل من يقابل الناس، جاء قوله سبحانه بأيها المدثر قمْ فَأَنذِر) ولما كان المتزمل المتلفف المتنقل بما

يضعه على بدنه من ثياب وغطاء وغشاء - التزمل عادة إنما يكون في الليل عند النوم، جاء قوله سبحانه يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا .

وهكذا تجد الكلمات القرآنية كل في موقعها الذي يصلح لها، وفي موضعها الذي لا تصلح هي إلا به.

الأحرف المختلفة في أماكن متشابهة :

١- في سورة البقرة يقول ربنا تبارك وتعالى : (قولوا آمنا بالله وما أنزل)[آل عمران : ٨٤].

فنحن نرى أنه عبر بـ (إلى) حينما كان الخطاب للأمة لأن القرآن إنما أنزل إليهم، وتجيء (على) حينما كان الخطاب للرسول ﷺ لأن القرآن إنما أنزل عليه وحده.

-٢- ومن هذا القبيل ما نقرؤه في سورة النساء (وَلَا تُؤْتوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُم التى جعل الله لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ ﴾ [النساء : ٥] وبعدها بآيتين نقرأ قوله سبحانه (وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ) [النساء : ٨]

فلقد عبّر بحرف الجر (في) في الآية الأولى لغرض رائع، وهدف بديع أصله وعينه، وإنما من الآية ذلك أن إعطاء أولئك من المال لا ينبغي أن يكون من ريحه وثمرته فهي دعوة لاستثمار المال واستغلاله فيما يحل، هذه الدعوة العريضة دعوة استثمار المال حمل لواءها هذا الحرف وحده، ومن هنا قلت: إن كل حرف قرآني له رسالة يؤديها، وهذا لا يمكن أن يتصور فيا الأخرى آية تقسيم التركة - حيث يأخذ كل نصيبه الذي يستحقه، على أن يؤتى أولو القربى واليتامى والمساكين شيئاً من هذه التركة .

ونقرأ قول الله تبارك وتعالى ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا [التوبة: ٥١] ولم يقل (علينا) فوضع اللام هنا مقصود، متفق مع نفسيه المسلمين الذين يعدون كل ما من الله تبارك وتعالى خيراً ونعمة .

وحينما نقرأ سورة الفتح نجد ربنا تبارك وتعالى يمتن على نبيه و أصحابه رضوان الله عليهم بمنن كثيرة، منها إنزال السكينة، وهذه المنة تذكر مرات ثلاث في ثلاث آيات تعدى فعل

الإنزال في إحداها بحرف الجر (في) الأبنين الآخريين بحرف الجر (على) وإليكم هذه الآيات التدبروها

الآية الأولى : (هو الَّذِى أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) [الفتح: ٤] (لقد رضى اللهُ عَنِ الْمُؤْمِينَ إذ يبايعونك تحتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفتح: ١٨].

والآية الثالثة: ﴿ فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُوله، وعلى المؤمنين) [الفتح : ٢٦] .

والمتبع من لأحداث الحديبية يدرك ما أصاب المسلمين من هزات، وما أقلقهم أحداث، كان أولها، حينما صدهم المشركون عن البيت، ثم تلا ذلك ما أشيع عن قتل عثمان -رضي الله عنه- وما أعقب ذلك من بيعة الرضوان، ولعل أشدها ما كان عند إبرام الصلح .

إذن كان المسلمون بحق بحاجة ماسة إلى هذه السكينة في هذه المواطن الثلاثة، لذا أنزلها الله على رسوله وعلى المؤمنين حينما صدوا عن البيت بسبب حمية الجاهلية، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ، وَعَلَى الْمُؤْمِينَ) [الفتح : ٢٦] فالمؤمنون يذكرون مع الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم لانزعاجهم جميعاً من صد المشركين إياهم ومنعهم من أن يتموا عمرتهم.

ولكن المؤمنين خصوا بهذه السكينة عند بيعة الرضوان كرامة من الله، كما رأينا في الآية الكريمة ولقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم عدى الإنزال بـ (على). أما الموضع الأخير، وهو ما كان عند إبرام الصلح، وقد وجد المسلمون في أنفسهم من القلق والألم والاضطراب، فلقد عدى الإنزال بـ (في)، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم فلقد كان المسلمون بحق بحاجة إلى السكينة تغلغل في هذا ا الموطن عند إبرام الصلح ؛ لذا عدي الإنزال بـ (في). قلوبهم في الموضعين الآخرين، لأن المؤمنين كانوا أكثر حاجة إلى هذه السكينة في هذا الموطن، ويدهي أن هناك فرقاً كبيراً بين (في) و (على) إذ تستعمل (في) للظرفية دون وهذا يدل على تغلغل السكينة في أعماق المؤمنين وقلوبهم .

ومن هذا القبيل، هاتان الآيتان الكريمتان قُلْ إِنَّ الأمر كله لله [آل عمران : ١٥٤] وقال سبحانه (والأمر إليكِ فانظري ماذا تأمرين) [الشمل : ٣٣) .

فالآية الأولى تثبت أن الأمر ثابت الله وحده لا يشاركه فيه غيره، أما الآية الثانية فإذا نظرنا في سياقها، وجدنا أن لها معنى آخر، فملكة سبأ حينما جمعت تشك في أن الأمر لها هي وهم لا يشكون كذلك، ولذا قالوا لها مجيبين قال الله مبيناً ذلك: (نحَنُ أَولُوا قوة وَأُولُوا بأسٍ شَدِيدٍ وَالأَمرُ إِلَيْكِ فانظرى ماذا تأمرين) [النمل: ٣٣] فهم لا يريدون أن يبينوا أن الأمر ثابت لها، فهذا لا تجهله هي ولا ينازعون هم فيه كذلك، إنما يريدون أن يبنوا والله أعلم بمراده- أننا مهما أبدينا من آراء، وأياً كانت المشورة التي نشعر بها، فإن نهاية ذلك كله إنما هو راجع إليك أنت، فآراؤنا جميعاً وأقوالنا ومشورتنا، ليست شيئاً مذكوراً، فأنت صاحبة القرار الأخير. وهكذا ندرك أن كلاً من الحرفين أعطي مالم يعطه الآخر .

-٦- ومن هذا ما نجده من أسرار بيانيه فى استعمال الحروف بين هاتين الآيتين قال تعالى : (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء لَكُمُ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فيه تسيمُونَ) [النحل: ١٠] وقوله سبحانه : (وينزل عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً يطهركم ، ويُذهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيثبتَ بِهِ الْأَقْدَامَ) انزل الماء من اجلهم لتحيا به الأرض وليشربوا وأنعامهم وهكذا نجد أن الآيات الكريمة التي ذكرت فيها نعمة إنزال الماء يذكر فيها هذا الحرف اللام (لكم).

ولعل الآية الوحيدة التي ذكر فيها حرف الجر على الآية الثانية وينزل عليكم، وهي كما نعلم جاءت تتحدث عن نعم الله على المؤمنين في بدر هذا النظم الدقيق في استعمال الحروف ووضع كل شيء في المكان الذي يتسق معه جمالاً وموضوعاً.

إن إنزال الماء السماء من أجمل نعم الله ، (لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنسقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمَا وَأَنَاسِى كَثِيرًا) [الفرقان: ٤٩] لذا كانت هذه اللام هي التي تدل هذه الدلالة الواسعة.